

ظاهرة الحذف في اللغة العربية

Deletion in the Arabic Language: its benefits and types

د.حافظ معظم شاه

محاضر بقسم الشريعة،

كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية،

جامعة العلامة إقبال المفتوحة، إسلام آباد.

moazzum.shah@aiou.edu.pk

ABSTRACT

Deletion is a description that makes the reader long to know the nature of this section in general and in detail, and to gain access to the knowledge of its nature and its cult. It makes the meaning clearer in order to promote the absent to the rank of the tangible. The deletion of one element from the sentence elements or part of the text aims to draw the attention of audience and readers. The purpose of this study is to present and highlight the various types and benefits of the deletion in Arabic language and literature along with the characteristics of deletion. The article applies descriptive and applied method for the research.

Key words: Deletion, description, literature, characteristics

من الأشياء المسلّم بها في اللغة العربية أنها لغة واسعة جداً وهي تحتوي على الملايين من المفردات سواء كانت مستخدمة أم غير مستخدمة، وهذا الاتساع لا يعني أنها لغة إطناب بل إنها لغة إيجاز وفصاحة لذلك أصبح الحذف مشاراً إليه في كل جملة من جملها، وسنأتي إلى تعريفه وماهيته.

لغة: جاء في اللسان: (حذف الشيء يحذفه حذفاً، قطعه من طرفه، والحجاء يح ٧٧ ذف الشعر).

والحذافة: ما حذف من الشيء فطُرح، وخص اللحياني به حذافة الأديم). وقال الأزهري: (تحذيف الشعر تطيريه وتسويته، وإذا أخذت من نواحيه ما تسويه به فقد حذفته، وقال امرؤ القيس:

لَهَا جِيَهَةٌ كَسْرَاةٍ مِمَّ جَنَّ حَذَفَهُ الصَّائِغُ الْمُقْتَدِرُ⁽¹⁾

وهذا البيت أنشده الجوهري على قوله: حذف تحذيفاً أي: هيأه وصنعه...⁽²⁾، والحذْفَةُ: القطعة من الثوب...

وفي الصحاح: حذف رأسه بالسيف حذفاً ضرب به فقطع منه قطعة، والحذف: الرمي عن جانب والضرب عن جانب، تقول: حذف يحذف حذفاً، وحذفه حذفاً: ضرب به عن جانب أو رماه عنه...⁽³⁾

قال الأزهري: وقد رأيت رعيان العرب يحذفون الأرناب بعصيم إذا عَدَتْ

ودرمت بين أيديهم، فربما أصابت العصا قوائمها فيصيدونها ويذبحونها...⁽⁴⁾

الجوهرى: حذف الشيء: إسقاطه، ومنه: حذفت من شعري ومن ذنب

الدابة، أي: أخذت، وفي الحديث: حذف السلام في الصلاة سنة. وهو تخفيفه وترك

الإطالة فيه...⁽⁵⁾

الأزهري عن ابن المظفر: الحذف قطع الشيء من الطرف كما يحذف ذنب

الدابة⁽⁶⁾...⁽⁷⁾

تعريف الحذف اصطلاحاً:

عرفه الجرجاني في كتاب التعريفات:

الحذف: إسقاط سبب خفيف، مثل (لن) من (مفاعيلن) ليبقى (مفاعي)

فينقل إلى (فعولن)، ويحذف (لن) من (فعولن) ليبقى (فعو) فينقل إلى (فعل) ويسمى

محذوفاً⁽⁸⁾.

وهذا المعنى في التعريف المذكور آنفاً والتعاريف اللغوية كلها تدل على المعنى

نفسه وهو أن الحذف يعني اقتطاع جزء معين. والتعريف الذي ورد في كتاب

التعريفات أقرب لما نحن بصددده، فهنا اقتطاع جزء من الكلمة لأمرٍ ما وما نتناوله هنا هو اقتطاع جزء من الكلام فالمعنى واحد.

الحذف عند العلماء:

وبعد التعرف من خلال المعاجم وكتاب التعريفات على المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذا المصطلح، لابد من نقل قول أهل البيان فيه علماً أنهم وصفوه وصفاً يجعل القارئ يتشوق لمعرفة ماهية هذا القسم إجمالاً وتفصيلاً وإلى الولوج إلى معرفة كنهه ولطائفه، فقالوا عن الحذف: (هو بابٌ دقيق المسلك، لطيف المآخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبَيِّن)⁽⁹⁾. (والحذف في الكلام إنما يكون إذا دلّ دليلٌ عليه)⁽¹⁰⁾، لذا فإن الحذف ضربٌ من الإيجاز، فالمعاني الكبيرة والراقية يمكن أن تنجز بعبارة معدودة الكلمات قليلة الأحرف، وللحذف حسن ذكره صاحب الإتيان: (وسبب حسنه: أنه يدل على التمكين في الفصاحة، ولهذا قال ﷺ: "أوتيتُ جوامع الكلم"⁽¹¹⁾)⁽¹²⁾.

فوائد الحذف:

إن موضوعاً كالحذف نال من الاهتمام الشيء الكثير لابد له من فوائد توازي ما ناله من الاهتمام، لذا نرى أن الكثير من العلماء عددوا للحذف فوائد، ونهبوا عليها في كتبهم، ومن هؤلاء السيوطي (ت911هـ)، إذ جعلها متسلسلة فقال⁽¹³⁾:

أولاً: مجرد الاختصار، والاحتراز عن العبث لظهوره.

ثانياً: التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف، وأن الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهم، وهذه هي فائدة باب التحذير والإغراء، فقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾⁽¹⁴⁾، ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ تحذير بتقدير "ذروا" و﴿سُقْيَاهَا﴾ إغراء بتقدير "إلزموا"⁽¹⁵⁾.

وهذه الفائدة تنضوي تحت لواء القسم الأول من الأقسام الثلاثة التي قسم الرد على النحاة لابن مضاء المحذوفات إليها، فقال: (محذوف لا يتم الكلام إلا به حُذِفَ لعلم المخاطب به...) ⁽¹⁶⁾.

ثالثاً: التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام. قال حازم في (منهاج البلغاء): إنما يحسن الحذف لقوة الدلالة عليه، أو يقصد به تعديد أشياء، فيكون في تعدادها طول وسأمة، فيحذف ويكتفي بدلالة الحال، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها.

قال ولهذا القصد يؤثر في المواضع التي يراد بها التعجب والتهويل على

النفس، ومنه قوله في وصف أهل الجنة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾⁽¹⁷⁾.

فيحذف الجواب، إذا كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى،

فجعل الحذف دليلاً على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه، وتركته النفوس

تقدر ما شاءته، ولا تبلغ مع ذلك كنه ما هنالك⁽¹⁸⁾.

وهذا يلتقي مع ما في الحديث القدسي حيث يقول تبارك وتعالى: (أَعَدَدْتُ

لِعِبَادِي مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ)⁽¹⁹⁾. فكل ما ينتظر

عباد الله الذين كُتِبَتْ لهم السعادة في الآخرة هو أكبر من أن تجمعه جملة أو تحصيه

عبارة لذلك عبر ربنا جل وعلا بهذا التعبير الذي يجعل المتأمل يسبح في تصوراتهِ.

رابعاً: التخفيف لكثرة دورانه في الكلام، كما في حذف حرف النداء، نحو ﴿يُوسُفُ

أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾⁽²⁰⁾، ونون ﴿لَمْ يَكُ﴾⁽²¹⁾ ... الخ⁽²²⁾.

خامساً: كونه لا يصلح إلا له، نحو: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾⁽²³⁾، ﴿فَعَالٌ مِّمَّا

يُرِيدُ﴾⁽²⁴⁾.

سادساً: شهرته، حتى يكون ذكره وعدمه سواء، قال الزمخشري: وهو نوع من دلالة الحال التي لسانها أنطق من لسان المقال، وحُمِلَ قراءة حمزة ﴿تَسْأَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾⁽²⁵⁾ لأن هذا مكان شهر بتكرار الجار، فقامت الشهرة مقام الذكر.

سابعاً: صيانتته عن ذكره تشريعاً، كقوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾⁽²⁶⁾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ⁽²⁶⁾، الآيات، حذف فيها المبتدأ في ثلاثة مواضع، قيل ذكر الرب، أي: (هو رب)، (الله ربكم)، (الله رب المشرق)؛ لأن موسى استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال، فأضمر اسم الله تعظيماً وتفخيماً.

ثامناً: صيانة اللسان عنه تحقيراً له: ﴿صُمُّ بُكْمٌ﴾⁽²⁷⁾، أي: هو أو المنافقون.

تاسعاً: قصد العموم، نحو: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾⁽²⁸⁾، أي: على العبادة وعلى أمورنا كلها...

عاشراً: رعاية الفاصلة، نحو: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾⁽²⁹⁾، أي: وما قلاك.

أحد عشر: قصد البيان بعدم الإبهام، كما في فعل المشيئة، نحو: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ﴾⁽³⁰⁾، أي: ولو شاء هدايتكم؛ فإنه لو سمع السامع ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾، تعلق نفسه بمشاء انهم عليه، ولا يدري ما هو، فلما ذكر الجواب استبان بعد ذلك⁽³¹⁾.

وهذه النقاط الإحدى عشرة بيّنت الفوائد التي جاء الحذف لغرضها، علماً أن بعض هذه الفوائد جاءت على وفق القرآن أكثر من غيره كما هو الحال بالنسبة لحذف الضمير الذي هو في محل نصب مفعول به كما في قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾⁽³²⁾، أي: قلاك، وهذا الحذف جاء مراعاةً للفاصلة كما ذكر آنفاً.

أنواع الحذف:

بعد أن تعرفنا على الحذف واطلعنا على فوائده، بقي أن نتعرف على أنواعه، وهذه المعرفة تزيد الموضوع وضوحاً وتكسوه جمالاً، فعندما نأخذ هذه الأنواع نقف على ما يهمننا منها في دراستنا فينصب التركيز عليه دون غيره من الأنواع التي نذكرها لأجل التعرف عليها فقط دون الخوض في تفاصيلها فقد ذكر صاحب الإتيقان أن (الحذف على أنواع:

النوع الأول: وهو ما يسمى الاقتطاع، وهو حذف بعض حروف الكلمة... ويدخل في هذا النوع حذف همزة "أنا" في قوله تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾⁽³³⁾، إذ الأصل: "لكن أنا" حذفت همزة "أنا" تخفيفاً، وأدغمت النون في النون.

ومثله ما قرئ- في الشواذ:- ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَىٰرِضٍ﴾⁽³⁴⁾ بحذف ألف على وهمزة الوصل من الأرض وإدغام اللام في اللام⁽³⁵⁾، ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾⁽³⁶⁾

بحذف لام أنزل وهمزة إليك وإدغام اللام باللام⁽³⁷⁾، ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلِثَمَّ عَلَيْهِ﴾⁽³⁸⁾ بحذف ألف لا وهمزة إثم⁽³⁹⁾، ﴿إِنَّهَا لَحَدَى الْكُبَرِ﴾⁽⁴⁰⁾⁽⁴¹⁾.

يظهر من خلال إمعان النظر أن هذا النوع الغرض منه التخفيف لا غير؛ لأنه يورث الخفة على اللسان عند النطق، غير أن وجود هذا النوع ربما يقتصر على بعض موارد العربية دون غيرها، فذكر صاحب الإتيقان أن ابن الأثير قد (أنكر ورود هذا النوع في القرآن)⁽⁴²⁾.

النوع الثاني: وهو ما يسمى بالاكْتفاء، وهو أن يقتضي المقام شيئين بينهما تلازم وارتباط، فيكتفي بأحدهما عن الآخر لنكتة، ويختص غالباً بالارتباط العطفى، كقوله: ﴿سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾⁽⁴³⁾، أي: والبرد، وخصص الحر بالذكر لأن الخطاب للعرب، وبلادهم حارة والوقاية عندهم من الحر أهم؛ لأنه عندهم أشد من البرد.

... ومنها: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾⁽⁴⁴⁾، أي: وما تحرك، وخص السكون بالذكر لأنه أغلب الحالين على المخلوق من الحيوان والجماد؛ ولأن كل متحرك يصير إلى السكون)⁽⁴⁵⁾.

والنوع الثالث: وهو ما يسمى بالاحتباك، وهو من أطف الأنواع وأبدعها،

وقل مَنْ تنبه له أو نبّه عليه من أهل البلاغة.

... قال الأندلسي في (شرح البديعية): من أنواع البديع الاحتباك، وهو نوع عزيز، وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول⁽⁴⁶⁾.

وقال الزمخشري: هو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من كل واحد منهما مقابلة لدلالة الآخر عليه، كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾⁽⁴⁷⁾، التقدير: (إن افتريته فعليّ إجرامي وأنتم براءٌ منه، وعليكم إجرامكم وأنا بريءٌ مما تجرمون)⁽⁴⁸⁾.

ومأخذ هذه التسمية من الحبك، معناه: الشد والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب، فحبك الثوب سدٌ ما بين خيوطه من الفرج وشدّه وإحكامه، بحيث يمنع الخلل من الحسن والرونق.

وبيان أخذه منه: من أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفرج من الخيوط، فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر في نظمته وحوكه، فوضع المحذوف مواضعه، كان حاكماً له مانعاً من خلل يطرفه، فسد بتقديره ما يحصل به الخلل مع ما أكسبه من لحسن والرونق⁽⁴⁹⁾.

وهذا النوع أقرب إلى الدراسات البلاغية منه إلى الدراسات النحوية فهو ينظر إلى قوة التعبير والحبكة في الكلام أكثر مما ينظر إلى الأجزاء التركيبية للجملة.

النوع الرابع: ما يسمى بالاختزال. وهو ما ليس واحداً مما يسبق، وهو أقسام؛

لأن المحذوف إما كلمة- اسم، أو فعل أو حرف- أو أكثر⁽⁵⁰⁾.

وهذا النوع هو الذي يعيننا في دراستنا، فالسيوطي جعل هذا النوع على عدة أقسام، وكل قسم يتكون من عدة فقرات أو أجزاء، فلو نظرنا إلى حذف الكلمة وجدناها إما فعل بمفرده أو اسم، وهذا الفعل إما أن يكون مرفوعاً أو منصوباً أو مجزوماً إن كان معرباً أو يكون مبنياً، وأما بالنسبة للأسماء فإما أن تكون مرفوعة أو منصوبة أو مجرورة كلٌّ بحسب ما يرتضيه المقام، وربما يكون المحذوف جملة وهذه الجملة عادة تكون إسمية أو فعلية ولعل حذف الجملة قد تقرر في بعض الأنواع السابقة، وأما بالنسبة لحذف الحروف فهو يكون قسمًا لا يقل شأنًا عن بقية الأقسام فالحرف المحذوف إما أن يكون حرف نداء أو حرف جر... الخ.

الهوامش

(1) البيت لامرئ القيس بديوانه، منشورات دار الفكر، بيروت، 1968م: 114.

(2) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت398هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، مادة (حذف): 4/ 1342.

(3) المصدر نفسه، مادة (حذف).

(4) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (282-370هـ)، تحقيق: عبد الكريم العزاوي، مراجعة: محمد علي النجار، مادة (حذف): 4/ 467.

(5) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (حذف) 4/ 1342.

(6) تهذيب اللغة، مادة (حذف) 4/ 467.

(7) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، مادة (حذف): 9/ 39-41.

(8) التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، دار إحياء التراث العربي (مؤسسة التاريخ العربي)، بيروت- لبنان: 68.

(9) دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني (ت471 أو 474هـ)، تعليق: محمود محمد شاكر، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة: 146.

(10) تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (700-774هـ)، تصحيح: محمد ناصر الدين الألباني، خرج أحاديثه: محمود بن الجميل، وليد بن محمد بن سلامة، خالد بن محمد بن عثمان، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 1422هـ/ 2002م: 7/ 264.

(11) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، كتاب المساجد مواضع الصلاة، رقم الحديث (523): 1/ 371، مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (164-241هـ)، عدد الأجزاء (6)، مؤسسة قرطبة، مصر، كتاب باقي مسند المكثرين، (9328).

(12) الإتقان في علوم القرآن، الإمام جلال الدين السيوطي (849-911هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعيد، المكتبة التوفيقية، مصر: 3/ 127.

(13) المصدر نفسه: 3/ 127.

(14) الشمس: 13.

(15) الإتقان في علوم القرآن: 3/ 127.

(16) التأويل النحوي في القرآن، د. أحمد عبد الفتاح الحموز، مكتبة الرشيد، الرياض، ط1، 1404هـ/ 1984م: 1/ 97.

(17) الزمر: 73.

(18) الإتقان في علوم القرآن: 3/ 127.

(19) البخاري، كتاب بدء الخلق، رقم الحديث (3005).

(20) يوسف: 39.

(21) الأنفال: 53.

(22) الإتقان في علوم القرآن: 3/ 127.

(23) الأنعام: 73.

(24) هود: 107، البروج: 15.

(25) النساء: 1.

(26) الشعراء: 23-24.

(27) البقرة: 18.

(28) الفاتحة: 5.

(29) الضحى: 3.

(30) النحل: 9.

(31) الإتقان في علوم القرآن: 3/ 128-129، ينظر: التيسير للداني: 93، والعنوان، لأبي طاهر إسماعيل بن خلف

المقري (ت455هـ): 83.

(32) الضحى: 3.

(33) الكهف: 38.

(34) الحج: 65.

(35) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف،

د.عبد الحلیم النجار، د. عبد الفتاح إسماعيل شبلي، يشرف على إصدارها: محمد توفيق عويضة، القاهرة،

1386هـ: 1/120، معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، دمشق: 2/140.

(36) البقرة: 4.

(37) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: 1/120.

(38) البقرة: 203.

(39) معجم القراءات: 1/277.

(40) المدثر: 35.

(41) الإتقان في علوم القرآن: 3/137.

(42) المصدر نفسه: 3/137.

(43) النحل: 81.

(44) الأنعام: 13.

(45) الإتقان في علوم القرآن: 3/137-138.

(46) المصدر نفسه: 3/138-139.

(47) هود: 35.

(48) البرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت794هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر

عطا، دار الفكر، بيروت-لبنان: 144-145.

(49) الإتقان في علوم القرآن: 3/139-140.

